من تراثنا المفقود

ما أُلف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، فنفضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهنّ والعرب وآرائها فيهنّ ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحا نحوهم في تفكيره ، فوَهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهنّ أو يُعنوا بهنّ ، ولم يخصوهن بالتآليف أو يفردوا لهنّ التصانيف ، وأيد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين ٠

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لتبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف ملاح ؛ خصوها بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امراً أدركوا صلته بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه ٠

ولو أنَّ هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل ٠

١ - فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ — كتاب « الموءودات »[1] لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ — كتاب « المعروفات من النساء في قريش » [2] لابن الكلبي أيضاً

٣ — كتاب « مناكح أزواج العرب » [3] له أيضاً

٤ — كتاب « المردفات من قريش » [4] لعلي بن محمد المدائني المحدّث المتكلم (٢٢٥)

---

(١) معجم الادباء ١٩/٢٨٨ — ٢٩٢ (طبعة دار المأمون) ٠ والفهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) الفهرست ص ٩٧ (٤) معجم الادباء ١٤ - ١٣٣ ٠

٥ — كتاب « الكلبيات » [1] له أيضاً

٦ — كتاب « بغايا قريش في الجاهلية » [2] للهيثم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:

١ — كتاب « أمهات النبي » [3] للمدائني الذي مرّ ذكره

٢ — كتاب « أمهات النبي » [4] لابن الكلبي

٣ — كتاب « أزواج النبي » [5] لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)

٤ — كتاب « بنات النبي وأزواجه » [6] لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .

٥ — كتاب « ازواج النبي » [7] لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً (٣٦٧) .

٦ — كتاب « أزواج النبي » [8] لابن الكلبي .

٣ — وتكلموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى منها:

١ — كتاب « أمهات السبعة من قريش » [9] لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها . (٢٤٥)

٢ — كتاب « امهات الخلفاء » [10] لابن الكلبي

٣ — كتاب « من تزوّج من نساء الخلفاء » [11] للمدائني وغيرها .

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائعهن وطرق معائشهن . وأوصافهن وما يعجبن به او يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) الفهرست ١٠٣ . ومعجم الادباء ١٤ — ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . الفهرست ص ١٠٠ ، وانظر وفيات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ .
(٤) الفهرست ص ٩٨ (٥) الفهرست ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . وانظر الصفدي في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٣١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ — ٢٧٥ (٨) الفهرست ص ٩٧ .
(٩) معجم الادباء ١٨/١١٥ — ١١٧ . الفهرست ص ١٠٦ . (١٠) الفهرست ص ٩٨ .
(١١) الفهرست ص ١٠١ .

١ — كتاب « النساء » [1] للجاحظ (٢٥٥)

٢ — كتاب « النساء » [2] للهيثم بن عدي (٢٠٩)

٣ — كتاب « النساء » [3] لحفص بن عمرو العنبري ذكره ابن النديم

٤ — كتاب «اخبار النساء» [4] لهارون بن علي المنجم وكان أديباً شاعراً راوية نديماً

٥ — كتاب « أخبار النساء » [5] للمدائني

٦ — كتاب « أخبار النساء » [6] للرقي

٧ — كتاب « النساء » [7] لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »

٨ — كتاب « اخبار النساء » [8] لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم يُر مثلها لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .

٩ — كتاب « النساء والغزل » [9] لمحمد بن خلف بن المرزبان

١٠ — كتاب « النساء والغزل » [10] لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٧٦)

١١ — كتاب « اخبار النساء » [11] لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .

١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن » [12] للمدائني

١٣ — كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)

١٤ — كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)

٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

١ — كتاب «الحيض» [13] للقاسم بن سلام امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

---

(١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
(٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣
(٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
(٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
(١٢) معجم الادباء ١٤ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠

٢ — كتاب « العدة » [1] لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ — كتاب « الرضاع » [2] له أيضاً

٤ — كتاب (الطلاق) [3] له أيضاً

٥ — كتاب (الشغار) [4] له ايضاً

٦ — كتاب (الصداق) [5] للمدائني

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتلتمس في الفهرست .

٦ — وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ — كتاب (الثياب والحلي) [6] لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ — كتاب (الحلي) [7] لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ — كتاب (الزينة) [8] للرقي

٤ — كتاب (التزين) [9] له أيضاً .

٥ — كتاب (فخر المشط على المرآة) [10] لعلي بن محمد الظاهري الميكالي الأديب المفاكه

٧ — ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ — كتاب (المتظرفات) [11] لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء الرواة (٢٨٠)

٢ — كتاب (المتظرفين والمتظرفات) [12] لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٤ — ٣٢٧ . وانظر طبقات المفسرين ص ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ ـ ٩٥ . ووفيات الاعيان ٣ ـ ٤٤٧ . (٥) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣

(٦) معجم الادباء ج ٣ ـ ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٤ ـ ٨٤ . (٨) معجم الادباء ٢٠ ـ ١٣٣

(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٤ ـ ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٤٦ .

(١٢) الفهرست ص ١٤٧ .

٣ — كتاب (المتطرّفات)[1] لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)

٤ — كتاب (عرائس المجالس)[2] لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمفجع الشيعي (٣٢٧)

٥ — كتاب (المحبوبات والمكروهات)[3] للرقي

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهنّ وصلتهن بأزواجهنّ ، فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها

١ — كتاب (اختلاف الزوجين)[4] للشافعي

٢ — كتاب (من هجاها زوجها)[5] للمدائني

٣ — كتاب (من شكت زوجها)[6] له أيضاً

٤ — كتاب من (مُيِّل عنها زوجها)[7] له ايضاً

٥ — كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوّجته)[8] له ايضاً

٦ — كتاب (النواكح والنواشز)[9] له ايضاً

٧ — كتاب (المتزوّجات)[10] لخالد بن طليق الراوية النسابة

٨ — كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته)[11] لمحمد بن عبد الله بن حيويه

٩ — ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجه مما يكون بينهما ، وهذه التآليف كثيرة لا جدوى في سردها .

١٠ — ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصوا الشذوذ الجنسي بكتب وتآليف منها :

---

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧ ـ ١٩٤ . (٣) معجم الادباء ٤ ـ ١٣٤
(٤) معجم الادباء ١٩ / ٣٢٤ — ٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣
(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق . قسم المجموعات : أدب ١١٦ .

١ — كتاب (السحق)[1] لمحمد بن حسان النملي أحد الكتاب الادباء في عهد المعتصم .

٢ — كتاب (البغاء)[2] له ايضاً

٣ — كتاب (السحاقات والبغائين)[3] لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥) وكان أديباً مليحاً هجاء ونديماً للمتوكل

٤ — ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفت في (الحبائب المتطرّفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :

٥ — كتاب (ريحانة وقرنفل)

٦ — كتاب (رقية وخديجة)

٧ — كتاب (سكينة والرّباب)

٨ — كتاب (سلمى وسعاد) وغيرها[4] .

١١ — وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر والعواقل والصالحات . ومن ذلك :

١ — (كتاب (أشعار النساء)[5] لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)

٢ — كتاب (العواقل)[6] لابن الكلبي

٣ — كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن ابي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه طرائف كلامهن واخبار ذوات الرأي منهن واشعارهن في الجاهلية والاسلام (طبع سنة ١٩٠٨)

٤ — كتاب (الرسا للصالحات من النسا)[7] لعالم الشام في القرن العاشر يوسف ابن عبد الهادي

---

(١) الفهرست ص ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ ــ ١١٩ . (٢) المصدر السابق .

(٣) الفهرست ص ١٥٢ . (٤) الفهرست ص ٣٠٧ . (٥) معجم الادباء ١٨ ــ ٢٦٩ .

(٦) الفهرست ص ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقمه ٤١ ادب . جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن وصدّر ذلك بحديث « موّدوا نساءكم المغزل فانه أزين لهن وأرزن ... ».

١٢ — وقدعنوا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسمعات والمغنيات والنوائح وأمهات الأولاد، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

١ — كتاب (القيان) (١) للجاحظ

٢ — كتاب (القينات) (٢) لاسحق بن ابراهيم الموصلي

٣ — كتاب (اخبار عزة الميلاء) (٣) له ايضاً

٤ — كتاب (قيان الحجاز) (٤) له ايضاً

٥ — كتاب (قيان مكة) (٥) للمدائني

٦ — كتاب (المغنيات) (٦) له ايضاً

٧ — كتاب (القينات) (٧) له ايضاً

٨ — كتاب (الاماء والشواعر) (٨) لأبي الفرج الأصفهاني

٩ — كتاب (القيان) (٩) ليونس بن سليمان المعروف بالمغني

١٠ — كتاب (اشعار الجواري) (١٠) للمفجع الشاعر الشيعي

١١ — كتاب (النوائح) (١١) لأحمد بن مطرف القاضي المصري

١٢ — كتاب (امهات الأولاد) (١٢) للطبري المحدث الفقيه

١٣ — كتاب (عتق امهات الأولاد) (١٣) للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

(١) معجم الادباء ١٦ ـ ١٠٧ . (٢) الفهرست ص ١٤١ . (٣) المصدر السابق . (٤) المصدر السابق . (٥) الفهرست ص ١٠٣ . (٦) المصدر السابق . (٧) معجم الادباء ١٤ ـ ١٣٣ . (٨) الاغاني ـ المقدمة ـ ج ١ طبعة دار الكتب المصرية . (٩) الفهرست ص ١٤٥ (١٠) معجم الادباء ١٧ ـ ١٩٤ . (١١) معجم الأدباء ٥ ـ ٩٣ (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ ـ ٨١ (١٣) معجم الادباء ١٧ ـ ٣٢٤ — ٣٢٧ .

١٣ – على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك ،خصت بالنساء وأخبارهن وصفاتهن وأحوالهن وتراجمهن ، كالتي كتبها ابن عبد ربه في العقد، والنويري في نهاية الأرب، والزمخشري في ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة في عيون الأخبار، والقالي في الأمالي والجاحظ في البيان والتبيين والسخاوي في الضوء اللامع وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله – وإن قل ! – تقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء ولم يؤلفوا في اخبارهن ..؟

دمشق : صلاح الدين المنجد